الباب الأول

السنة فى العهد النبوى

- نتحدث فى هذا الباب عن الرسول ﷺ من حيث هو معلم ومرب وعن تجاوبه مع دعوته، وموقفه من العلم، ومنهجه ﷺ فى التعليم.
- ونتناول مادة السنة وحاجة المسلمين إليها، ثم نبين كيف كان الصحابة يتلقونها عن الرسول ﷺ.
- ثم نختتمه بانتشار السنة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان عوامل هذا الانتشار آنذاك.

تمهيد

عرفنا البيئة التى ظهر فيها رسول الله ﷺ، والفترة التى قضاها فى دعوته الطاهرة وقد كانت مرحلة تعليمية تطبيقية، وأساسًا متينا لبنيان الحضارة الإسلامية الشامخ، الذى غير وجه التاريخ، وأمده بذخيرة حضارية فى مختلف نواحى الحياة.

فإذا ما نظرنا إلى تلك الحقبة التى لا تتجاوز ربع قرن من عمر الزمن، منذ بدء دعوة محمد ﷺ حتى وفاته، ألفينا أنفسنا أمام مدرسة كبيرة جداً فى مرحلة تربوية جديدة، يشرف على توجيهها وتربية طلابها وتعليمهم محمد ﷺ، و«موادها» القرآن والسنة، وطلابها الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذا حاولنا أن نحكم على هذه التجربة التربوية، حكمًا علمياً صحيحًا كان لابد لنا من أن نستعمل طرق القياس والدراسة التربوية، لنتمكن من معرفة مدى نجاح تلك المدرسة الكبرى، ومقدارَ الإفادة من تلك المادة العلمية التى كانت موضوع الدرس والبحث والتطبيق، ولا يتحقق لنا هذا إلا بدراسة شخصية المعلم المربى، وتفاعله مع مادته ورسالته، وعلاقته بطلابه وتفاعلهم معه، ومدى تجاوب هؤلاء الطلاب مع مربيهم ومع مادته، لنتعرف من خلال هذه الفائدة العلمية التربوية التى جنوها، ونطمئن إلى مصير العلم الذى تلقوه وشاركوا فى تطبيقه.

لهذا كله كان لزامًا علينا أن نتعرف على شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، مربيًا ومعلمًا، ونطلع على منهجه وأسلوبه، وعلى المادة التى كانت موضوع العناية والتطبيق من حيث اتصالها ببيئة الطلاب وحياتهم اليومية ونطلع على منهج الصحابة أنفسهم فى التلقى، ومدى تجاوبهم مع رسول الله ﷺ، وتفاعلهم مع الشريعة الغراء، وخاصة السنة الشريفة، كل هذا ليكون بحثنا موضوعياً دقيقًا، يصور الواقع الذى كانت عليه السنة تصويرًا صحيحًا.

وإن دراسة المربى والمادة والطلاب لَتُبيِّنُ مدى نجاح تلك التجربة لأن لكل جانب من هذه النواحى الثلاثة أثره البعيد فى فهم المادة العلمية المدروسة وبقائها مدة طويلة فى نفوس الطلاب واضحة جلية، فكلما تضافرت هذه العوامل الثلاثة فى طرق الإيجاب، كانت الفائدة عظيمة جليلة، وبقيت المادة فى أذهان الطلاب أمدًا بعيدًا، وإذا تنافرت هذه العوامل وقل تجاوبها فيما بينها لم تؤت أكلها، وتضاءلت الفائدة المرجوة منها، وسرعان ما يأتى النسيان على تلك المادة التى كانت موضوع البحث والدراسة والتطبيق، وعلى ضوء هذا نتناول البحث من أطرافه الثلاثة المذكورة فى هذا الباب.

١ - الرسول صلى الله عليه وسلم

أ- معلم مرب:

مهما حاولت أن أصف الدرجة التى وصل إليها الرسول ﷺ من الخلق الكريم والسلوك المستقيم فلن أستطيع الإحاطة بذلك، ولا غرابة فأى أديب يمكنه أن يعبر عن العناية الإلهية التى شملت رسول الله ﷺ فى جميع مراحل حياته؟ وأى مؤرخ يمكنه أن يستقصى جميع أخباره دقيقها وجليلها فى هذا المجال؟ ومع هذا فإن المؤلفات التى دُوِّنت عن حياة رسول الله ﷺ فى مختلف ظواهرها لم يُدَوَّن مثلها لرجل فى التاريخ قط. وأحاول الآن أن أتناول الخطوط الكبرى لموضوعنا هذا.

لقد اصطفى الله تعالى محمدًا ﷺ، ورباه وعلمه بعنايته الإلهية ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها، فأُعدَّ إعدادًا عظيمًا، حتى كان القرآن خلقه: يرضى برضاه، ويسخط بسخطه[1]، بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، **«فلم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا[2]. كان أشد حياء من العذراء فى خدرها[3]، وإذا كره شيئًا عرف فى وجهه[4] وإذا سُرَّ استنار وجهه**

(١) روى عن عائشة نحوه، انظر سنن ابن ماجه: الأحكام.

(٢) روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: فتح البارى ص ٣٨٥ جـ٧.

(٣) عن أبى سعيد الخدرى: فتح البارى ص ٣٨٧ جـ٧.

(٤) من طريق شعبة بن الحجاج: فتح البارى ص ٣٨٨ جـ٧.

حتى كأنه قطعة قمر[1] وكان أصحابه يعرفون ذلك منه. ولم يحقد على إنسان قط لنفسه، وما انتقم لنفسه «إلا تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[2].

كان سيد الناس فى أخلاقه ومعاملاته؛ وكيف لا وقد اختاره الله تعالى ليكون للعالم أسوة حسنة، وأوحى إليه ليكون لهم بشيراً ونذيراً؟ ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] فكانت مهمته عليه الصلاة والسلام مهمة صعبة جليلة، يبلغ الناس آيات الله جل وعلا، ويفقههم فى الدين، ويطهرهم وينقذهم مما كانوا فيه، لذلك كله كان صلوات الله وسلامه عليه يتمتع بصفات خلقية سامية، ويتميز بشخصية تربوية عالية، تتجلى فيها الآداب الكريمة، التى تتدفق من خصاله الحميدة الكثيرة، ويكفينا فى ذلك كله شهادة الله سبحانه وتعالى له إذا يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أما من الناحية العلمية فقد شرح الله صدره وعلمه ما لم يكن يعلم، فبلغ ﷺ من العلم غاية لم يبلغها بشر سواه، فكان المرجع الأول للمسلمين فى أحكام القرآن، وتعاليم الإسلام، وعرف سير الأمم الغابرة، وجمعَ إلى ذلك علم أهل الكتاب، وأوتى جوامع الكلم، إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى التى تتصل بالحياة الإنسانية، يدرك ذلك من تتبع أخباره ﷺ وسيرته، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] فعلم دقائق أحكام القرآن فحمله إلى الناس، وبينه بسنته الطاهرة وسلوكه المستقيم، فكان المعلم الأول، والمرشد الأمين إلى الطريق القويم، وكان بحق رحمة للعالمين.

---

(١) فتح البارى ص ٣٨٤ جـ٧.

(٢) المرجع السابق ٣٨٧ جـ٧ من حديث عائشة.

ب ـ تجاوبه مع دعوته:

لما كان لتجاوب المربى مع مادته أثر بعيد فى إفادة طلابه، وبقاء المادة العلمية ثابتة راسخة فى أذهانهم، أحببت أن أنبه إلى تجارب الرسول الكريم مع رسالته ودعوته، لندرك فيما بعد أثر ذلك فى حفظ السنة الشريفة.

إنه لا يشك إنسان فى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قد اندفع من صميم فؤاده وبجميع قواه فى سبيل تبليغ رسالته، وقد تحمل الكثير من الأذى، وقاسى الصعاب وصبر الصبر الجميل لتدعيم أركان الحنيفية السمحة، واضطهد كثيرًا حتى غادر مسقط رأسه. ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد، فيطيب الله خاطره، ويحفف عنه، مبينًا أن هدايتهم بيده عز وجل فيقول: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص: ٥٦].

ويصور الله تعالى ضيقه ﷺ فى سبيل هداية قومه فيقول: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف: ٦].

حتى إذا مارست دعائم الإسلام وقويت شوكته، وقامت دولته كان الرسول عليه الصلاة والسلام، القائد الموجه والرئيس المشرف، والفقيه المعلم، والمفتى الصادق يمارس كل هذا بنفسه الصافية وروحه العالية مندفعًا فى أداء الأمانة فقضى عمره داعيًا إلى الله معلمًا ومرشدًا، يحب أصحابه حبًا جمًا يشاركهم آلامهم وأفراحهم، وفى هذا كله كان منسجمًا انسجامًا تامًا مع رسالته سعيدًا بدعوته، خير من يهتدى بسيرته فى مختلف مظاهر الحياة، وقد كان الأسوة الحسنة لأصحابه الذين خالطوه ورأوه وسمعوا منه وعرفوا عنه كل دقيق وجليل، فنقلوه إلينا بإخلاص ودقة.

جـ ـ موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم:

لقد نزل الوحى على رسول الله عليه الصلاة والسلام أول ما نزل بآيات توجه النظر الإنسانى إلى التعلم، وتطالبه بالقراءة، فصدع بقوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ**﴾ [العلق: ١].

وإنا لنجد القرآن يدعو إلى التعلم، ويحض على طلب العلم، ويبين درجات العلماء، ويخاطب العقلاء، ويحضهم على التدبر فى آيات الله تعالى وآلائه، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة ١١]، وقد حض على سؤال العلماء فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وأوجب نشر العلم وبيان أحكام الله فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كما حض على طلب العلم والتعليم فقال: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، بل حث على الاستزادة من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولسنا هنا بصدد إحصائيات العلم والتعليم والعلماء فى القرآن الكريم، فإن المقام لا يتسع لذلك، وإنما الغاية أن نعرف موقف الرسول ﷺ من العلم والحث على طلبه، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على ممارسة التعليم والتعلم، فنطلع على سنته عليه الصلاة والسلام فى ذلك، لأن لهذا أثرًا بعيدًا فى حفظ «السنة» إلى جانب القرآن الكريم. وإن ما نستعرضه الآن إنما هو غيض من فيض.

١- حض الرسول على طلب العلم:

بين رسول الله ﷺ منزلة العلم وحض على طلبه فقال: «**مَن يُرِد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ فى الدّين**»[١] وقال ﷺ: «**فَقيهٌ واحدٌ أشد على الشَّيطانِ من ألفِ عابدٍ**»[٢]،

(١) رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة فى مسنده ص ١٨٠ حديث ٧١٩٣ جـ١٢ إسناده صحيح. ورواه الطبرانى فى الصغير ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ص ١٢١ جـ١ وسنن ابن ماجه ص ٤٩ جـ١، وأخرجه البخارى فى صحيحه فى غير موضع مسندًا ومعلقًا على صيغة الجزم فهى فى حكم المسند.

(٢) رواه ابن ماجه ص ٥٠ جـ١ وذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ص ٢٦ جـ١ كما أخرجه الترمذى.

وجعل العلم ركنًا من أركان الخير وميز الناس به فقال: «**الناسُ معادِنُ فخيارُهم فى الجاهليَّةِ خيارُهم فى الإسلام إذا فقهوا**»(١).

وجعل طلب العلم الشرعى الذى يحتاج إليه المسلم ليقيم أمور دينه فريضة على المسلم فقال عليه الصلاة والسلام: «**طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ**»(٢)، وأما العلوم الأخرى التى يحتاج إليها المسلمون فى حياتهم فهى من باب فرض الكفاية، يأثم جمع المسلمين إذا احتاجوا إلى علم ولم يوجد بينهم من يكفيهم إياه، ثم لا يتحللون من ذلك حتى يسدوا ذلك النقص.

وجعل العلم من الأمور التى يغتبط فيها ويتنافس فى مضمارها فقال ﷺ: «**لا حَسدَ إلاّ فى اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكَتِه فى الحق، وآخرُ آتاهُ الله حكمةً، فهو يَقْضى بها ويعلّمها**»(٣).

وحث ﷺ المسلمين على أن يكون لكل منهم نصيب من العلم فقال: «**اغدُ عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو مُحبًّا، ولا تكنِ الخامسةُ فتهلك**»(٤)، وقال عطاء: قال لى مسعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة أن تبغض العلم وأهله.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عباس: أن رجلاً أصابه جرح فى عهد رسول الله ﷺ، قد أصابه احتلام، فأمر بالاغتسال فمات، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «**قَتَلُوه!! قَتَلَهُم الله!! ألَم يَكنْ شفاءَ العىِّ السؤال؟!**»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله انظر مجمع الزوائد ص ١٢١ جـ١ وقال رجاله رجال الصحيح وانظر جامع بيان العلم ص ١٨ جـ١.

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٠ جـ١، رواه أنس عن الرسول ﷺ.

(٣) مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس ص ٧٨ حديث ٤١٠٩ جـ٦ إسناده صحيح ورواه البخارى ومسلم، وانظر جامع بيان العلم ص ١٧ جـ١. والمراد بالحسد هنا الغبطة وهى أن يتمنى المرء مثل ما عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه. وأما الحسد فهو أن يتمنى زوال النعمة عن غيره لتكون له وهو محرم فى الإسلام ونهى عنه رسول الله ﷺ.

(٤) مجمع الزوائد ص ١٢٢ جـ١ ورجاله موثوق بهم، وقد رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة، والبزار.

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٢ حديث ٣٠٥٧ جـ٥ بإسناد صحيح. وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله =

ولم يقتصر حض رسول الله لأصحابه على طلب العلم الشرعي من خلال القرآن والسنة الطاهرة، بل دعاهم إلى كل علم يفيد المسلمين، حتى إنه أول ما قدم المدينة، وسمع من زيد بن ثابت بضع عشرة سورة من القرآن، وهو صغير السن أعجب به، وأمره أن يتعلم لغة اليهود، فقال: «**يا زيدُ تعلمْ لي كتابَ يهود، فإني والله ما آمنُ يهودَ على كتابي**» وفي رواية: «**إني أكتبُ إلى قومٍ فأخافُ أن يزيدوا عليّ أو يُنقصوا، فتعلم السّريانية**». قال زيد: فتعلمتها في سبعة عشر يومًا[1].

وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو الله عز وجل فيقول: «**اللهمَ إني أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفعُ، ومن دعاء لا يُسمعُ، ومنْ قلبٍ لا يخشعُ، ومن نَفسٍ لا تَشبعُ**»[2].

وذكر عليه الصلاة والسلام العلم النافع في ثلاثة لا ينقطع أجرها بعد الموت، فقال: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملَهُ إلاّ من ثلاثَةِ أشياء: من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به بعدَه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ**»[3].

هكذا بين رسول الله ﷺ مكانة العلم وحض أصحابه والمسلمين جميعًا على طلبه، ولم يكتف بذلك بل أمر بتبليغه.

٢- حضه على تبليغ العلم:

إن الغاية من العلم أن ينتفع أصحابه؛ وينفعوا غيرهم به، ولا فائدة من علم مكتوم أو فقه في صدور العلماء، لا ينال منه الناس شيئًا. لذلك أمر رسول الله ﷺ

= قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «**قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم.. ويعصب.. على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده**» انظر سنن أبي داود ص ٨٢ جـ١.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٢٨٠، ٢٨١ جـ٦، وطبقات ابن سعد ص ١١٥ قسم ٢ جـ٢، وللاستزادة راجع كتابنا زيد بن ثابت ص ٤ و١٧.

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٦ جـ١ عن أبي هريرة وأخرج نحوه زهير بن حرب في كتاب العلم عن أنس، انظر: كتاب العلم ص ١٩٤.

(٣) جامع بيان العلم ص ١٥ جـ١ عن أبي هريرة. ورواه البخاري في الأدب ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.

بنشر العلم، وحرم كتمانه، وذكر ذلك فى مناسبات كثيرة، وشهد على هذا ألوف المسلمين. قال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضَّرَ الله امرأ سمعَ منا حديثًا فحفظَه حتى يبلغه، فُربَّ مبلَّغٍ أحفظُ لهُ من سامعٍ**»[1]، والحديث مشهور، وطرقه كثيرة بألفاظ متقاربة، منها: «**ربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ، وربَّ حاملِ فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هُو أفقهُ منهُ**»، ومنها: «**نضَّر الله عبدًا سمعَ مقالتى فوعاها ثم أدّاها إلى مَنْ لمْ يسمعْها، فَرُبَّ حاملِ فقه لا فقه له، وربَّ حاملِ فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يُغَلُّ عليهنَّ قَلْبُ المؤمنِ، إخلاصُ العملِ لله عز وجل، وطاعةُ ذوى الأمرِ، ولُزومُ الجماعَة، فإن دعوتَهم تكونُ من ورائِهم**»[2].

وكان يبلغ الوفود التى تفد إليه أن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم، ويفقهوهم فى الدين، ومن ذلك ما فعله عندما قدم إليه وفد عبد القيس، قال ﷺ: «مَن القومُ؟ قالوا: ربيعة. قال مرحبًا -أو الوفد- غيرَ خَزَايا ولا نَدَامى. قالوا: إنا نأتيك[3] من شُقَّة بعيدة وبيننا وبينَكَ هذا الحىُّ من كفارِ مُضَرَ، ولا نستطيعُ أن نأتيَكَ إلا فى شَهر حرامٍ، فمُرنا بأمرٍ نخبرُ به مَنْ وراءنا، ندخلُ به الجنةَ، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع... قال: احفظُوه وأخبروه من وراءكم»[4]. ولم يترك رسول الله ﷺ طريقة من طرق التبليغ والإعلام فى ذلك العصر إلا استعملها فى سبيل تبليغ الإسلام، فأرسل الرُّسلَ، وطيَّرَ الكتب، ووجه الأمراء والقضاة، فكان مثالاً طيبًا لنشر الرسالة، وتبليغ الأمانة، ومنع كتمان العلم: فقال: «**من سُئِلَ عن علمٍ فكتمَهُ، أُلجمَ بلجامٍ من نارٍ يومَ القيامَةِ**»[5] وعن أبى هريرة

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٩٦ حديث ٤١٥٧ جـ٦ بإسناد صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان.

(٢) الجرح والتعديل ص ٩، ١٠، ١١ جـ١. وانظر سنن ابن ماجه ص ٨٤، ٨٥ جـ١، وجامع بيان العلم ص ٣٩ جـ١ رواه عن زيد بن ثابت.

(٣) هكذا النص.

(٤) فتح البارى ص ١٩٤ جـ١. وتتمة الحديث: أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم، ونهاهم عن الدباء، والحنتم، والمزفت قال شعبة ربما قال: النقير، وربما قال المقير. قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم**».

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٥ حديث ٧٥٦١ جـ١٤ وص ٨٦ حديث ٧٩٣٠ جـ١٥.

قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الذى يتعلمُ علمًا ثم لا يحدثُ به مَثَلُ رجل رزقهُ الله مالاً فكنزَهُ فلمْ يُنفقْ منهُ**»[1] فهو بمعنى الآية الكريمة: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

٣- منزلة العلماء (المعلمين):

يكفى رجال العلم فضلاً أن رسول الله ﷺ رائدهم، وأول من حمل لواء التحرير من الجهالة والضلال. وقد بين عليه الصلاة والسلام منزلتهم فقال: «**العلماء ورثةُ الأنبياء**»[2]. وحث الأمة على احترام العلماء ومعرفة حقوقهم فقال: «**ليْسَ من أمتى مَنْ لم يُجلَّ كبيرَنا، ويرحمْ صغيرَنَا، ويعرفْ لعالمِنا حقه**»[3] وإن للعالم نصيبه عند الله عز وجل من هذا الأجر كما لطالب العلم نصيبه منه. وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**... العالمُ والمتعلِّمُ شريكان فى الأجرِ**»[4] وقال ﷺ: «**مُعلِّمُ الخيرِ يستغفرُ لهُ كلُّ شىء حتى الحيتانُ فى البحارِ**»[5].

٤- منزلة طلاب العلم:

من أعظم ميزات الإسلام، أن كل عمل يقوم به المسلم يعود عليه بالفائدة والخير يكتب له به عند الله أجره حتى طلب العلم، قال ﷺ: «**مَنْ غدا إلى المسجد**

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٧١: ب.

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢١ جـ١ رواه عن أبى الدرداء وقال: «العلماء خلفاء الأنبياء» وله فى السنن «العلماء ورثة الأنبياء» وقال: رواه البزار ورجاله موثوق بهم.

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٧ جـ١. رواه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناده صحيح.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ جـ١ من حديث طويل ذكره ابن عبد البر عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ.

(٥) مجمع الزوائد ص ١٢٤ جـ١، وقد رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه إسماعيل بن عبد الله بن زرارة وثقه ابن حبان وقال الأزدى منكر الحديث، ولا يلتفت إلى قول الأزدى فى مثله، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله.

لا يريدُ إلاّ أن يتعلَّمَ خيرًا، أو يعلمهُ كانَ له كأجرِ حاجٍ تامٍ[1] حجَّتُه[2] » وفى رواية: «كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله»[3] و«مَنْ طلبَ علمًا فأدركَهُ كتبَ الله لَهُ كفلينِ منَ الأجر، ومَنْ طَلَبَ علمًا فلم يُدركهُ كتبَ الله له كفلاً من الأجر»[4] وقال: «إذا جاءَ الموتُ طالبُ العلمِ وهو على حاله ماتَ شهيدًا»[5]. وإنَّ فضل العلم ليربَو على فضل العبادة أحيانًا لقوله ﷺ: «فضلُ العلمِ خيرٌ منْ فضلِ العبادةِ، ومِلاكُ الدينِ الورعُ»[6].

وإن منزلة طلاب العلم لتبدو مجسمة واضحة فيما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... وَمَنَ سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهَّلَ الله لهُ به طريقًا إلى الجنَّة، وما اجتمعَ قومٌ فى بيت من بُيوت الله، يتلونَ كتابَ الله ويتدارسُونَهُ بينهُم، إلا نَزَلت عليهُم السكينةُ، وغشيتُهمُ الرحمَةُ، وحفتُهمُ الملائكةُ، وذكرهم الله عز وجل فيمن عندهُ. ومَنْ أبطأَ به عملهُ لم يسرعْ به نَسَبُهُ»[7].

وقال صفوان بن عسال: أتيتُ النبى ﷺ وهو فى المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسولَ الله، إنى جئتُ أطلبُ العلمَ، فقال: «مرحبًا بطالب العلم، إنَّ طالبَ العلمِ لتحفَّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركبُ بعضُهم بعضًا حتى يبلُغوا السماءَ الدنيا من محبَّتهم لما يطلبُ»[8] وفى رواية «منْ حُبهم لما طَلب»[9].

---

(١) هكذا النص.

(٢، ٣) مجمع الزوائد ص ١٢٣ جـ١. الأول رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة ورجاله موثوق بهم، والثانى أخرجه الطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد وفى سنده يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه البخارى وابن حبان وضعفه النسائى وغيره ولم يستندوا فى تضعيفه إلا إلى أنه محدود وسماعه صحيح. مجمع الزوائد ص ١٢٣ جـ١. وانظر سنن ابن ماجه ص ٥١ جـ١ وجامع بيان العلم ص ٣٣ جـ١.

(٤) مجمع الزوائد ص ١٢٣ جـ١ رواه الطبرانى فى الكبير عن وائلة بن الأسقع ورجاله موثوق بهم.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ جـ١ رواه البزار عن أبى هريرة وأبى ذر.

(٦) المرجع السابق ص ٢٢ جـ١ رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والحاكم.

(٧) مسند الإمام أحمد ص ١٦١ حديث ٧٤٢١ جـ١٣ بإسناد صحيح، رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان. ونحوه فى مجمع الزوائد ص ١٢٢ جـ١ وسنن ابن ماجه ص ٥١ جـ١.

(٨، ٩) مجمع الزوائد ص ١٣١ جـ١، رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح، وانظر الجرح والتعديل ص ١٣ جـ١.

٥- وصية رسول الله ﷺ بطلاب العلم:

عن أبى هارون العبدى قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى قال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ. قال: قلنا وما وصية رسول الله ﷺ؟ قال: قال: لنا رسول الله ﷺ: **«إنه سيأتى بَعدىَ قومٌ يسألونكُم الحديثَ عنّى، فإذا جاءوكمُ فألطفوا بهم، وحدّثوهم»**[١].

وفى رواية أنه: إذا رأى الشباب قال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، أوصانا رسول الله ﷺ أن نوسعَ لكم فى المجلس وأن نفُقِّهكم، فإنكم خلوفنا، وأهلُ الحديثِ بعدنا[٢].

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ، يأمرهم بأن يُرحبوا بطلاب العلم، فيقول: **«سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلمُ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحبًا بوصيةِ رسول الله ﷺ، وأفتوهم»**[٣].

وفى رواية: **«وإنهم - أى طلاب العلم - سيأتونكم من أقطارِ الأرض يتفقهون فى الدينِ فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرًا»**[٤].

تلك لمحة سريعة عن موقف رسول الله ﷺ من العلم، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على التعليم والتعلم، فبين فضل العلم والعلماء وطلابه، ومنزلة كل منهم وأجره، حتى إن المرء لا يكاد يسمع شيئًا من ذلك، إلا اندفع تلقائيًا، ليكون أحد أطراف الحياة العلمية، فهل بعد هذا كله وسيلة تشجيعية لطلب العلم وتحصيله؟ وهل وراء ذلك ما يثنى الصحابة ومن بعدهم عن دراسة الحديث وحفظه وإتقانه؟!

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢: أ، وقد رواه الخطيب البغدادى بسنده الآتى: أنا أبو عمر محمد ابن محمد بن على بن حبيش التمار، حدثنا أبو على إسماعيل بن الصفار إملاء، حدثنا محمد ابن على السرخسى، حدثنا على بن عاصم ح وأخبرنا على بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل، حدثنا أبو عمر عثمان بن أحمد الدقاق إملاء، حدثنا أبو بكر يحيى بن جعفر الواسطى، أخبرنا على بن عاصم أخبرنا أبو هارون العبدى ولفظ الحديث لابن بشران.

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢: ب.

(٣) سنن ابن ماجه ص ٥٥ جـ١.

(٤) سنن ابن ماجه ص ٥٦ جـ١.

إن التشجيع العلمى بلغ أوجه، وسبيل العلم متيسر للجميع بينه وبين طلابه حاجز أو مانع، ومعلم الخير يرحب بكل طالب.

وننتقل بعد هذا إلى منهج الرسول الكريم فى تعليم أصحابه.

د ـ منهجه ﷺ فى التعليم:

إن منهج الرسول الكريم فى تبليغ أصحابه لا يتعدى منهج القرآن العظيم، إذ كان الرسول مبلغًا لكتاب الله تعالى، مبينًا أحكامه، موضحًا آياته، وقد نزل القرآن منجمًا على محمد ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، والرسول الكريم يبلغ قومه، ومن حوله، ويفصل تعاليم الإسلام، ويطبق أحكام القرآن، فكان معلمًا وحاكمًا وقاضيًا ومفتيًا وقائدًا طيلة حياته عليه الصلاة والسلام، فكل ما يتعلق بالأمة الإسلامية فى جميع شؤونها، دقيقها وعظيمها، وكل ما يتناول الفرد والجماعة فى مختلف نواحى حياتهم، مما لم يرد فى القرآن فهو من السنة، العملية أو القولية أو التقريرية، ومن ثمَّ نجد بين يدينا أحكامًا وآدابًا وعبادات وقربات شرعت وطبقت وسنت خلال ربع قرن، فلم توضع السنة دفعة واحدة[1] كمجموعة من الشرائع الوضعية، أو الأحكام الخلقية، التى يمليها بعض الحكماء والوعاظ، وإنما شرعت لتربية الأمة دينياً واجتماعياً وخلقيّاً وسياسياً، فى السلم والحرب، فى الرخاء والعسر، وتتناول النواحى العلمية والعملية. فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنئذ فجأة، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة، وديانتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى الإسلام فى نظمه وتعاليمه وعقائده وعباداته.

---

(١) والسنة لم تكن قط نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى كما ادعى «جولد تسيهر» الذى يضيف فيقول: «ليس صحيحًا ما يقال من أنه -أى الحديث- وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج» راجع نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى عن دراسات إسلامية لجولد تسيهر. كما ذكر «غاستون ويت» هذا الرأى لجولد تسيهر فى مقالته عن الحديث فى «التاريخ العام للديانات» ص ٣٦٦ جـ٤ بالفرنسية. وذكر واضعو دائرة المعارف الإسلامية قريبًا من هذا القول عن جولد تسيهر فى مادة حديث. نقلاً عن كتابه «دراسات إسلامية» ويرى أن السنة من وضع المسلمين. وهذا محض افتراء سأتعرض له فى «باب وضع الحديث»، فليراجع.

لقد تدرج القرآن الكريم فى انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة، ومحاربة المنكرات التى كان عليها الناس فى الجاهلية، وثبت بالتدريج أيضًا العقائد الصحيحة، والعبادات والأحكام، ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة، وشجع الذين التفوا حول الرسول ﷺ على الصبر والثبات وفى هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن، ويفتى الناس، ويفصل بين الخصوم ويقيم الحدود، ويطبق تعاليم القرآن، وكل ذلك سنة، وسنتناول الآن منهج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فى ذلك كله، متوخين الإيجاز، وإن لدراسة أسلوبه ومنهجه لأثرا بعيدًا فى تثبيت سنن الرسول ﷺ، ولولا ذلك لم نتعرض لدراسته.

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ دار الأرقم مقراً له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية، فيلتف حوله المسلمون الأوائل بعيدًا عن المشركين يتذاكرون كتاب الله، وهو يعلمهم مبادئ الإسلام، ويحفظهم ما يتنزل عليه من القرآن، وبعد ذلك أصبح منزل الرسول عليه الصلاة والسلام فى مكة ندوة المسلمين، ومعهدهم الذى يتلقون فيه القرآن الكريم، وينهلون من الحديث الشريف على يدى رسول الله ﷺ.

ولا شك فى أن الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن، ويتدارسونها فيما بينهم، فى بيوتهم وفى حوانيتهم، فى المدينة وفى البيداء، ليثبتوا ما سمعوا من رسول الله ﷺ. وقد يتذاكرون تفسير ما تلقوه، وما تفسيره إلا شرح رسول الله ﷺ وهو الحديث. فحفظ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام كان متمشيًا جنبًا إلى جنب مع حفظ القرآن العظيم من الأيام الأولى لظهور الإسلام. وقصة إسلام عمر تثبت أن المسلمين كانوا يقرؤون القرآن فى بيوتهم، ويتفقهون فى الدين...

ثم أصبح المسجد فيما بعد ـ المكان المعهود للعلم والفتوى والقضاء، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية، وعرض الأمور العامة على المسلمين...

ومع هذا لم يقتصر تبليغ الرسول عليه الصلاة والسلام على مكان محدود ولا على مناسبة معينة، فقد كان يستفتى فى الطريق فيفتى؛ ويسأل فى المناسبات

فيجيب، يبلغ الأحكام فى كل فرصة تسنح له، وفى كل مكان يتسع لذلك: فى حله وترحاله، فى سلمه وحربه.

وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة يتخول فيها أصحابه بالموعظة، فإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقًا حلقًا[1]. ويقول أنس رضى الله عنه: إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقًا حلقًا، يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن[2] ومن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يضن على مسلم بالعلم، وأنه كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم. وسيظهر لنا ذلك من البحث.

عن ابن مسعود قال: «**كان النبيُّ ﷺ يتخولُنا بالموعظة فى الأيام كراهةَ السآمة علينا**»[3] فقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يمل أصحابه فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر، لأن الاستمرار فى تعليمهم وتوجههم، يدخل الملل إلى نفوسهم، فتقل الفائدة، فمن الحكمة سلوك هذا الطريق فى التعليم، وهو الطريق الذى تعتمده اليوم المؤسسات التربوية فى مناهجها التعليمية، وهى خير طريقة لتثبيت ما يتلقاه الطالب من المعلومات.

- وكان ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم، فإن الكلام الذى لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم، فيأتى بغير المقصود منه.

لقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركونه، فيفهم البدوى الجافى بما يناسب جفاءه وقسوته، ويفهم الحضرى بما يلائم حياته وبيئته، كما أنه يراعى تفاوت المدارك وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة، فتكفى منه الإشارة إلى الألمعى الذكى، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد. من ذلك: ما رواه أبو هريرة قال: جاء رجل من بنى فَزَارَةَ إلى النبى ﷺ فقال: إن امرأتى وَلَدَتْ غلامًا أسودَ وإنى أنكرتهُ فقال له النبى ﷺ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إبل**» قال: نعم. قال:

(١، ٢) انظر: مجمع الزوائد ص ١٣٢ جـ١. وإن كان فى بعض رجالهما مقال فإن الطرق الكثيرة التى رويا بها تؤيد صحة الاستشهاد بهما.

(٣) فتح البارى ص ١٧٢، ١٧٣ جـ١ ومسند الإمام أحمد ص ٣٠٢ حديث ٣٥٨١ جـ٥.

«**فما ألْوانُها؟**» قال: حمر. قال: «**هل فيها من أوْرَقَ؟**» قال: إنَّ فيها لورقًا. قال: «فأنَّى أتاها ذلك؟» قال: عَسَى أن يكونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ. قال: «**وهذا عسى أن يكون نَزَعَهُ عِرْقٌ**»(١).

ومن ذلك أن فتى من قريش أتى النبى ﷺ فقال: يا رسولَ الله ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه!! فقال: «أدنه» فدنا منه قريبًا. فقال: «**أتُحبُّه لأُمك؟**» قال: لا والله جعلنى الله فداك. قال: «**ولا الناسُ يُحبُّونَهُ لأُمهاتهم**» قال: «**أفتحبُّه لابنَتكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك. قال: «**ولا الناسُ يُحبونَهُ لبناتهم**» ـ ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته وخالته، وفى كل ذلك يقول الفتى مقالته: «لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك» ـ قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهمَّ اغفرْ ذنبهُ، وطَهّرْ قَلْبَهُ وَحَصّنْ فرجَه**» قال (الراوى) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء(٢).

لقد اتبع رسول الله ﷺ أسلوبًا جعل الفتى يدرك أثر الزنا فى المجتمع، وكيف أنَّ الناسَ جميعًا لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس.

وكان يخاطب القوم بلغتهم ولهجتهم، ومن هذا ما رواه الخطيب البغدادى بسنده عن عاصم الأشعرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس من امبر امصيامُ فى امسَفرِ**» أراد ليس من البر الصيام فى السفر وهذه لغة الأشعريين يقلبون اللام ميما(٣).

---

(١) صحيح مسلم ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨، ٢٠ جـ٢. الأورق الذى فيه سواد ليس بصاف. والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب.

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢٩ جـ١ عن أبى أمامة الباهلى، رجاله رجال الصحيح وقد رواه الطبرانى فى الكبير.

(٣) الكفاية ص ١٨٣ وقد أخرجه الإمام أحمد. وأخرج الشيخان ومالك وأبو داود والنسائى «**ليس من البر الصوم فى السفر**» تيسير الوصول ص ٣١٢ جـ٢.

وكـان إذا تكلم تكلم ثلاثًا لكى يفـهم عنه[1]، وإذا تكلم تكلم فـصلاً يبـينه، فيحفظه منه من سمعه[2].

وعن عائشة أنه ﷺ كان لا يسـرد الكلام كسردكم، ولكن كان إذا تكلم بكلام فصل يحفظه من سـمعه[3]. وفى رواية إنما كان النبى يحدث حـديثًا لوعده العاد لأحصاه[4].

ويظهر أنه كان من عـادة رسول الله ﷺ أن يعيد كلامه ويكرره على السـامعين حتى يدركوه جميعًا فلا يفوت أحدهم بعضه فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى عليه الصـلاة والسلام كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثـا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليـهم سلم عليهم ثلاثًا[5] ولا يفهم من حديث أنس هذا أنه كان يفعل ذلك دائمًا بل بقدر ما تقتضيه الحاجة.

فمن جميع ما سبق يتبـين لنا أنه ﷺ كان يبين للناس الأحكام جيدًا حتى لا يبقى لسامع سؤال، ولا لسائل مـشكل يقف عنده. حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سأله[6].

كان يتغـيّا التيسـير فى جميع أموره، وينـهى عن التشديد والتعقـيد، يريد من المسلمـين أن يأتوا الرخص كمـا يأتون بالعـزائم، وينهى عن التنطع فى العـبادة. والتضييق فى الأحكام، ولا بعد فى ذلك كله، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسـرة. ويظهر لنا أسلوبه فى ذلك كلـه من تتبع سيـرته عليه الصـلاة والسلام.

---

(١) مجمع الزوائد ص ١٢٩ جـ١ عن أبى أمامة رواه الطبرانى فى الكبـير بإسناد حسن وأخرج البخارى نحوه عن أنس انظر: صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٢٩ جـ١.

(٢) كتاب تسمية ما ورد به الخطيب ص ٢٩ جـ١ رواه عن عروة عن عائشة، مخطوطة المكتبة الظاهرية دمشق مجموع (١٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٦: ب وفتح البارى ص ٣٩٠ جـ٧ القسم الأول من الحديث.

(٤) فتح البارى ص ٣٨٩ جـ٧ وقبول الأخبار ومـعرفة الرواة ص ٥٨ ذكره أبو القاسم البلخى يريد الطعن فى أبى هريرة فلم يفلح.

(٥) فتح البارى ١٩٨ ، ١٩٩ جـ١، ولعل المراد بالسلام هنا سلام الاستئذان فى الدخول.

(٦) انظر: فى ذلك فتح البارى ص ٢٤١ جـ١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله.

ويتجلى مع هذا حلمه تارة، وحبه لأمته تارة أخرى وغضبه للحق حينًا، ونهيه عن التعقيد أحيانًا. من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، قال: «دخل أعرابى المسجد فصلى ركعتين، ثم قال اللهم: ارحمنى ومحمدًا ولا ترحم أحدًا!! فالتفت (إليه) النبى ﷺ، فقال: «**لقد تحجَّرتَ واسعًا!!**» ثم لم يلبث أن بال فى المسجد!! فأسرع الناس إليه، فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إنما بُعثتُم مُيَسرين، ولم تُبعثوا معسِّرين، أهريقُوا عليه دَلْوا من ماءٍ أو سِجلاً من ماء**»(١).

وكان يدعو إلى التيسير دائمًا، فعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «**علِّموا ويَسِّروا ولا تُعسِّروا، وإذا غضبَ أحدُكم فليَسْكُتْ**»(٢) وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ دينكم أيسرُه، وخيرُ العبادة الفقهُ**»(٣). كما كان ينهى عن الأغلوطات وصعاب المسائل(٤). ومشهور عن معلم الخير ﷺ أنه «**ما خُيِّرَ بينَ أمرين إلا أخذَ(٥) أيسرَهُما ما لم يكنْ إثمًا، فإن كانَ إثما كان أبعدَ الناسِ منه. وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسه إلاّ أن تُنتهكَ حُرمَةُ الله فينتقمَ لله بها**»(٦).

- وكان ﷺ فى معاملته للمسلمين جميعًا أخًا متواضعًا ومعلمًا جليمًا، بل كان أبا رحيمًا فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب

---

(١) القسم الثانى من الحديث أى بول الأعرابى فى المسجد ذكره البخارى عن أنس وعن أبى هريرة، انظر: فتح البارى ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ جـ١ وقصة الدعاء فى موضع آخر. والحديث المذكور أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح فى مسنده، انظر: المسند ص ٢٤٤ حديث ٧٢٥٤ جـ١٢ وص ٣٠٩ حديث ٧٧٨٦ جـ ١٤، قوله ﷺ «تحجرت واسعًا»: أى ضيقت ما وسعه الله، يقال حجرت الأرض واحتجرتها إذا ضربت عليها منارًا تمنعها به من غيرك. ويرد الأستاذ أحمد محمد شاكر على المستشرق بروكلمان لفهمه هذا الحديث فهما خاطئًا راجع هامش ص ٢٤٥ جـ١٢ منه.

(٢) مسند الإمام أحمد: ص ١٢ حديث ٢١٣٦ وص ١٩١ حديث ٢٥٥٦ جـ٤ وص ١٥٠ حديث ٣٤٤٨ جـ٥ ومجمع الزوائد ص ١٣١ جـ١، وراجع فتح البارى ص ١٩٦ جـ١. فيه غضبه ممن يطول الصلاة وفى المصلين الضعيف وذو الحاجة، وطلب ممن يصلى بالناس التخفيف لذلك.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ جـ١ وقال رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(٤) انظر: عيون الأخبار ص ١١٧ جـ٢، ذكر حديثًا عن معاوية بن أبى سفيان قال: نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات. قال الأوزاعى: يعنى صعاب المسائل.

(٥) كذا فى النص.

(٦) فتح البارى فى حديث عائشة رضى الله عنها ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ جـ٧.

وأحبه إلى نفس المخاطب، فيقول مثلاً: **«إنّما أنا لَكم مثلُ الوالدِ إذا أتيتُم الغائطَ فلا تَستقبِلوا القبلة ولا تَستدبِروها»**[1]. وإذا ما أعجب أصحابه به، وحاول بعضهم الثناء عليه أو إطراءه أبى ذلك وقال: **«لا تُطروني كما أطرتِ النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدَه ورسولَه»**[2] فلم يرض أن يرفعوه عن درجة البشر ويعظموه، وما كان ينتظر منهم جزاء ولا شكورًا.

تعليم النساء:

جاء نسوة إلى رسول الله ﷺ، فقلن يا رسول الله ما نقدر عليك فى مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يومًا نأتيك فيه، قال: **«موعدُكُنَّ بَيتُ فلان»** وأتاهُنّ فى ذلكَ اليوم، ولذلك الموعد، قال (أبو هريرة): فكان مما قال لهن: **«ما مِنْ امرأة تُقَدمُ ثلاثا مَنَ الولدِ تَحتَسِبُهُنَّ إلا دَخَلت الجنة»** فقالت امرأة منهن: **أو اثنتان؟ قال: «أو اثنتان»**[3].

وكان النساء يسألن رسول الله ﷺ فيجيبهن عن أمور دينهن ولم يكن ذلك صدفة أو نادرًا، بل خصص لهن أوقاتًا خاصة يجلسن فيها إليه، ويتلقين عنه تعاليم الإسلام، ويفتيهن، قالت عائشة رضى الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين[4].

وها هى ذى أم سليم ـ وهى بنت ملحان حاضرة ـ فتقول: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال النبى ﷺ: **«إذا رأت الماءَ» فغطت أم سلمة -تعنى وجهها- وقالت: يا رسول الله، أو تحتلم المرأةُ؟ قال: «نَعَمْ، تَربت يمينُك، فَبمَ يُشبهُها ولدُها؟»**[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٠٠ حديث ٧٣٦٢ جـ١٣ ونحوه فى فتح البارى ص ٢٥٥ جـ١.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٦ حديث ١٦٤ جـ١ بإسناد صحيح عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٨٥ حديث ٧٣٥١ جـ١٣ وفتح البارى ص ٢٠٦ جـ١، تحتسبن أى تحسب أجرها على الله فى الصبر على المصيبة.

(٤) فتح البارى ص ٢٣٩ جـ١.

(٥) فتح البارى ص ٢٣٩ جـ١ عن هشام بن عروة عن زينب، ابنة سلمة عن أم سلمة قالت جاءت أم سليم. (أو تحتلم) من غير همزة فى الأصل وفى رواية الكشميهنى (أو تحتلم).

بهذه الروح الطيبة، والنفس السامية، والصدر الرحب، والمنهج التربوى الصحيح كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب كالملوك والقياصرة، بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمين الشريعة، وقد يرونه فى الطريق فيسألونه، فيبش لهم ويجيبهم، وقد يعترضونه فى مناسكه وحجه، أو راحلته يستفتونه فيفتيهم[1] والابتسامة لا تفارق ثغره، وقد تكون إجابته لسائل عن مسألة وحوله جمع قليل أو كثير، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الإسلام وتعاليمه، ويفصل الأحكام ويشرحها. . . فينقل السامعون ما تلقوه إلى إخوانهم وذويهم فإن من سمع وشاهد ووعى ستبقى آثار ما تلقاه واضحة جلية فى نفسه أمدًا طويلاً، حتى إذا ماشك فيما سمع، عاد إلى رسول الله ﷺ، ليزيل وهمه، ويثبته على الصواب ويرده إلى الحق.

من كل ما سبق يتبين لنا أن منهج رسول الله ﷺ كفيل بأن يحقق ما كان يريده الرسول الكريم من تعليم أصحابه وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة، وكفيل بأن يثبت تلك الأحكام والتعاليم فى نفوسهم.

بعد هذا نقدم على دراسة «المادة» لنرى تفاعل الصحابة معها وتجاوبهم وإياها، ثم ننتقل إلى الصحابة وكيفية تلقيهم الشريعة عن الرسول ﷺ.

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ص ١٧ حديث ٥٦٢ جـ٢ حول حج رسول الله ﷺ وفيه. . . واستفته جارية شابة من خثعم فقالت: إن أبى شيخ كبير قد أفند، وقد أدركته فريضة الله فى الحج فهل يجزئ عنه أن أؤدى عنه؟ قال: نعم، فأدى عن أبيك، قال (على بن أبى طالب) وقد لوى عنق الفضل، فقال له العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابة، فلم آمن من الشيطان عليهما، قال: ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر؟ قال انحر ولا حرج، ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله إنى أفضت قبل أن أحلق؟ قال: احلق أو قصر ولا حرج. . .

إن هذا القسم من الحديث يعطينا صورة حية عن فتاوى الرسول ﷺ للمسلمين. وراجع فتح البارى ص ١٩١ و٢٣٣ جـ١.

٢- مادة السنة

عرفنا فى مقدمة هذا الباب أن السنة هى المادة التى تلقاها الصحابة رضى الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ، وشاركوا فى تطبيقها واتباعها.

وإنا لنرى هذه المادة تتعلق بالمسلمين فى جميع أمور حياتهم: فى عقائدهم وعباداتهم، ومناسكهم، وبيوعهم ومعاملاتهم، وفى أحوالهم الشخصية، وفى آدابهم، كما تتصل اتصالاً وثيقًا بمختلف مظاهر حياتهم اليومية فى السلم والحرب فى اليسر والعسر.

والمادة التى تتصف بهذه الصفات تجعل التلميذ متعلقًا بها محبًا لها، حريصًا عليها، لأنها الناظم لأموره وتصرفاته. وقد كان الصحابة حريصين على سنة رسول الله ﷺ محبين لها، يتسابقون إلى مجالس الرسول ﷺ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم القوى وحبهم لمعلمهم الكبير، وقد سمعوا وعرفوا ما للعلم من فضل ومكانة، وما للعلماء وطلاب العلم من منزلة وأجر فأقبلوا على تلقى السنة وتطبيقها من قلوبهم صادقين مخلصين. ويظهر لنا ذلك جليًا فى دراسة كيفية تلقيهم السنة عن الرسول ﷺ.

٣- كيف كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله ﷺ؟

ما كان الإيمان يخالط قلوب المسلمين أصحاب رسول الله ﷺ وينير سبيلهم - حتى عرفوا عظمة الإسلام، فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم: ذلك المعين الذى لا ينضب بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى والهداية العظمى وامتلأت قلوبهم حبًا لله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فتفانوا فى الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده. لقد تحولت جميع قواهم الفطرية، وفضائلهم الطبيعية، وحيوياتهم الدائمة، وتضافرت للمحافظة على الإسلام ونشره، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة... فإذا ما دعت الحاجة إلى المال سارع المسلمون متنافسين فى تقديم أموالهم بين يدى رسول الله ﷺ هذا يتبرع بثلث ماله، وذلك بنصف ماله، وآخر بماله كله...!! وقد تضيق الحال بالمسلمين أنفسهم، فنرى عثمان رضى الله عنه

يهب قافلته التجارية القادمة من الشام للمسلمين، ويأبى أن يبيعها بالمبالغ المغرية التى عرضت عليه ويقول: دفع لى بها أكثر من ذلك.

وقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام، وفدوا الرسول ﷺ بأرواحهم فإذا ما نزل بهم الخطب فى غزوة أحد رأيناهم يتسابقون للدفاع عن رسول الله ﷺ، وهذا أبو دجانة يجعل ظهره ترسًا لرسول الله ﷺ، حتى أثخنته الجراح، وإلى جانبه على يذب عنه بسيفه، وسعد بن أبى وقاص يرمى بقوسه حتى كتب لهم النصر..

هذه نماذج قليلة لتفانى الصحابة وبذلهم فى سبيل عقيدتهم ودينهم وبهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدموا على تلقى العلم عن رسول الله ﷺ.

كان الصحابة يتعلمون من النبى ﷺ القرآن الكريم آيات معدودات: يتفهمون معناها، ويتعلمون فقهها، ويطبقونه على أنفسهم، ثم يحفظون غيرها، وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: كعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[1]».

وكان بعضهم يقيم عند الرسول ﷺ يتعلم أحكام الإسلام وعباداته، ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم، ومن هذا ما أخرجه البخارى عن مالك ابن الحويرث قال: «أتينا النبى ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقًا رحيمًا، فقال: **«ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومُروهم، وصلوا كما رأيتمونى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»**[2].

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٢٤، وأبو عبد الرحمن السلمى هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة أحد كبار التابعين الذين سمعوا من عثمان رضى الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت، توفى سنة ٧٢هـ وقال البخارى بين سنتى (٧٠، ٨٠) انظر: طبقات ابن سعد ص١٩ جـ٦ وتهذيب التهذيب ص١٨٣ جـ٥.

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى ص٥٢ جـ٤ وسنن الدارمى ص١٤٨ طبعة كانفور سنة ١٢٩٣.

وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله ﷺ حرصًا شديدًا، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها، وقد يعسر على بعضهم الحضور، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام، كما كان يفعل ذلك عمر رضى الله عنه، قال: «كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، وهى من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا، وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره. وإذا نزل فعل مثل ذلك»[1]..

ويقول البَرَاءُ بن عازب الأوسى رضى الله عنه: «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين فى رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ، فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه»[2]. وفى رواية عنه: «ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب»[3].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: «.. ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه (منه) ولكن كان يحدث بعضنا بعضًا ولا يتهم بعضنا بعضًا»[4]. وفى رواية عن قتادة أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل: سمعت هذا من رسول الله؟ قال: نعم. أو حدثنى من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب[5].

---

(١) فتح البارى ص١٩٥ جـ١.

(٢) معرفة علوم الحديث ص١٤.

(٣) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص٣٢، ٣٣. والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٢: أ ونحوه فى قبول الأخبار ومعرفة الرجال: ٩، ١٠.

(٤) قبول الأخبار ص٩. أورد أبو القاسم البلخى فى الصفحات الأولى من كتابه من (١ ـ ٤٦) أخبارًا جيدة عن السنة والحديث وسماع الصحابة ثم ما لبث أن قلب ظهر المجن لهم وبدأ يطعن فى أهل الحديث، وهو معتزلى مشهور وفاته (٣١٧ أو ٣١٩هـ) وسأتعرض للرد عليه فى مواطن أخرى من هذا الكتاب.

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٢: أ ورواه السيوطى فى مفتاح الجنة.

وكان الصحابة يتذاكرون دائمًا ما يسمعون من رسول الله ﷺ، قال أنس ابن مالك: كنا نكون عند النبى ﷺ فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه[1].

وإلى جانب هذه المجالس، كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله ﷺ من وجوه يمكن حصرها فيما يأتى:

أ ـ حوادث كانت تقع للرسول نفسه، فيبين حكمها، وينتشر هذا الحكم بين المسلمين بمن سمعوه منه، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من إذاعة الخبر بسرعة، وقد يكونون قلة فيبعث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من ينادى فى الناس بذلك الحكم.

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ، مر برجل يبيع طعامًا فسأله كيف تبيع فأخبره، فأوحى إليه أدخل يدك فيه، فأدخل يده، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس منّا مَنْ غَشَّ**»[2].

ومثال ذلك ما رواه القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وهى مستترة بقرام[3] فيها صورة ثماثيل، فتلون وجهه، ثم أهوى القرام، فهتكه بيده، ثم قال: «**إن أشدَّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ الذين يُشَبِّهونَ بِخَلقِ الله عزَّ وَجل**»[4].

وقد يرى رسول الله ﷺ أو يسمع صحابيًا يخطئ، فيصحح له خطأه، ويرشده، من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى رجلاً توضأ للصلاة، فترك موضع ظفر على ظهر قدمه، فأبصره النبى ﷺ فقال: «**ارجِعْ فَأحْسِن وُضوءكَ**» فرجع فتوضأ ثم صلى[5].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص٤٦: ب.

(٢) مسند الإمام أحمد ص١٨ حديث ٧٢٩٠ جـ١٣ بإسناد صحيح.

(٣) القرام بكسر القاف ثوب من صوف ملون.. وهو صفيق يتخذ سترًا وقيل هو الستر الرقيق وقيل هو ستر فيه رقم ونقوش وجمعه قرم. انظر: لسان العرب ٣٧٤ ج١٥.

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم ص١٢٩ ونحوه فى صحيح مسلم ١٦٦٧ حديث ٩١ جـ٣.

(٥) مسند الإمام أحمد ص٢١٤ حديث ١٢٤ جـ١ بإسناد صحيح ورواه مسلم أيضًا.

ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا، إنى رأيته فى النَّار فى بُردَة غَلَّها أو عَبَاءة**»، ثم قال ﷺ: «**يا ابن الخطاب: اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون**». قال: فخرجت فناديتُ: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[1].

ب- حوادث كانت تقع للمسلمين، فيسألون الرسول عنها، فيفتيهم ويجيبهم، مبينًا حكم ما سألوا عنه، ومن هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه، ومنها ما يتعلق بغيره، وجميعها من الوقائع التى تعرض للإنسان فى حياته فنرى الصحابة لا يخجلون فى ذلك كله، بل يسرعون إلى المعلم الأول، ليقفوا على حقيقة تطمئن قلوبهم إليها، وتثلج صدورهم عندها. وقد يخجل الصحابى من الرسول ﷺ فيكلف غيره عبء السؤال، من ذلك ما يرويه على بن أبى طالب قال: كنتُ رجلاً مذاء، فكنت أستحى أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود[2]، فسأله فقال: «**يغسل ذكره ويتوضأ**»[3].

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبى ﷺ أو سأله رجل فقال: بينا أنا فى الصلاة ذهبت أحك فخذى، فأصابت يدى ذكرى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ هُوَ إلاّ بضعةٌ منك**»[4].

وقد يسألونه ﷺ عن أخص من ذلك كما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها، قال: جاءت امرأة رِفاعة إلى النبى ﷺ فقالت: إن رفاعة طلقنى، فأبت[5] طلاقى، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإن ما معه مثل هدبة الثوب. فقال:

---

(١) مسند الإمام أحمد ص٢٤٢ جـ١، وإسناده صحيح.

(٢) فتح البارى ص٢٩٤ جـ١ وصحيح مسلم ص٢٤٧ حديث ١٧ جـ١.

(٣) مسند الإمام أحمد ص٣٩ حديث ٦٠٦ وص٤٦ حديث ٦١٨ جـ٢ بإسناد صحيح وفتح البارى ص٢٩٤، ٣٩٤ جـ١، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ـ ١٩ جـ١.

(٤) معرفة علوم الحديث ص١٣٢ وقال الحاكم... لم يذكر الزيادة فى حك الفخذ غير عبد الله بن رجاء عن همام بن يحيى وهما ثقتان.

(٥) بت وأبت أى طلقنى ثلاثًا. والبت القطع. ورفاعة المذكور هو رفاعة القرظى.

«**أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ لا، حتى تَذُوقى عُسيلته ويذوقُ عُسيلَتَك**» وأبو بكر عند النبى ﷺ، وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له، فقال: يا أبا بكر، ألا تسمع ما تجهر به عند رسول الله ﷺ[1]؟

لقد كان المسلمون يسألونه عن أمورهم وأحوالهم، لايحجبهم عنه حاجب، ولا يمنعهم منه مانع، لذلك نرى الأعرابى البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابى الملازم له، كلهم يريدون الحق، قال على رضى الله عنه: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نكون بالبادية، فتخرج من أحدنا الرويحة[2]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يستحى منَ الحقِّ، إذا فعل أحدكم فليتوضأ، ولا تأتوا النساء فى أعجازهن**»[3].

إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون رسول الله ﷺ عن مثل هذه الأمور الشخصية التى قد يخجل منها غيرهم، كانوا لا يحجبون عن سؤاله فى معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، يعود إليه لينهل من معينه، ويتزود من علمه، كما حدث لضمام ابن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسول رسول الله يبلغهم الرسالة[4]، فانطلق ضمام إلى رسول الله ﷺ، وكان حوله أصحابه، فدخل المسجد على جمل، قال أنس: «... فأناخه فى المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبى متكئ بين ظهرانيهم. فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل (ضمام): ابن عبد المطلب، فقال له النبى ﷺ: «**قَدْ أجبْتُك**». فقال الرجل للنبى ﷺ: إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة، فلا تجدْ علىَّ فى نفسك. فقال: «**سَلْ عَمّا بَدَا لك**» قال أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «**اللهم نَعم**». قال: أنشدُك بالله، آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ وصحيح مسلم ص١٠٥٥ حديث ١١١ وما بعده جـ٢.

(٢) الرويحة تصغير رائحة وكنى بها هنا عن الريح الذى ينطلق من البطن عن طريق الشرج.

(٣) مسند الإمام أحمد ص٦٤ حديث ٦٥٥ جـ٢ (وقال مرة فى أدبارهن).

(٤) انظر: معرفة علوم الحديث ص٥ وقد أخرجه مسلم.

والليلة؟ قال: «**اللهم نعم**»... فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائى من قومى، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر»[1].

ومن ذلك ما حدث لأحد الصحابة حين قبل امرأته وهو صائم، «فوجد من ذلك وَجْدًا شديدًا، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها؟ فقالت أم سلمة: إن رسول الله يُقَبِّلُ وهو صائم. فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شرآ!! وقال: لسنا مثل رسول الله، يُحلُّ الله لرسوله ما شاء. فرجعت المرأة إلى أم سلمة، فوجدت رسول الله عندها، فقال رسول الله: «**ما بالُ هذه المرأة؟**» فأخبرته أم سلمة، فقال: «**ألا أخبرتيها أنى أفعلُ ذلك؟!**» فقالت أم سلمة: قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شرآ، وقال: لسنا مثل رسول الله، يُحلُّ الله لرسوله ما شاء، فغضب رسول الله، ثم قال: «**والله إنِّى لأتقاكم لله ولأعْلَمُكم بِحُدُودِه**»[2].

لقد حمله ورعه أن يظن هذا الحكم خاصاً بالرسول حتى أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حكم عام.

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه[3].

وقد يختصم مسلمان فى قضية أو حكم، فيرجعان إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب. من ذلك ما رواه المِسْورُ بن مَخْرَمَة: أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، فقرأ فيها حروفًا لم يكن نبى الله ﷺ أقرأنيها، قال: فأردت أن أساوره وأنا فى الصلاة، فلما فرغ قلت: من أقرأك هذه القراءة؟ قال: رسول الله ﷺ قلت: كذبْت والله، ما هكذا أقرأك رسول الله ﷺ، فأخذتُ بيده أقوده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنك أقرأتنى سورة الفرقان، وإنى سمعت

(١) فتح البارى ص١٥٩ جـ١ ونحوه فى معرفة علوم الحديث ص٥.

(٢) الرسالة ص٤٠٤ فقرة ١٠٩٠ وهكذا اللام ثابتة فى الأصل فى (أعلمكم).

(٣) انظر: فتح البارى ص٢٠٧ جـ١.

هذا يقرأ فيها حروفًا لم تكن أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**اقرأ يا هشام**» فقرأ كما كان قرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**هكذا أنزلت**»[1] ثم قال لي: «**اقرأ**»، فقرأت، فقال: «**هكذا أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر**»[2].

إن في هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة في مختلف أبواب كتب السنة، حتى إنها تؤلف جانبًا كبيرًا من سنة رسول الله ﷺ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول ﷺ، لأنها جزء من حياة السائل بل واقعة بارزة من وقائع عمره.

جـ ـ وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ. وهذه كثيرة في صلاته وصيامه وحجه وسفره وإقامته... فنقلوها إلى التابعين الذين بلَّغوها إلى من بعدهم وهي تؤلف جانبًا كبيرًا من السنة، وخاصة هديه ﷺ في العبادات والمعاملات وسيرته... ومن ذلك سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وإجابته ﷺ عن ذلك كله، وبعدما انصرف جبريل التفت الرسول ﷺ إلى من حوله وقال: «**يا عمرُ، أتدري مَن السائل؟** قال عمر: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[3].

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أوتر رسول الله ﷺ: من أول الليل وآخره وأوسطه فانتهى وتره إلى السحر[4].

ومن ذلك أيضًا ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر: أنه رأى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢٢٤ حديث ١٥٨ جـ١ بإسناد صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٧٤ حديث ٢٧٧ جـ١ بإسناد صحيح، وليس في هذه الرواية مساورة عمر لهشام في الصلاة. وأخرج البخاري ومسلم نحوه، انظر: فتح الباري ص٣٩٩ جـ١٠ وصحيح مسلم ص٥٦٠ حديث ٢٧٠ جـ١.

(٣) شرح الأربعين النووية ص١٢ رواه مسلم وانظر: فتح الباري ص١٢٣ـ ١٣٢ جـ١ ومسند الإمام أحمد ص٣١١ حديث ٣٦٧ جـ١ بإسناد صحيح. وكان جبريل عليه السلام قد جاء إلى الرسول ﷺ وأصحابه حوله على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا تظهر عليه علائم السفر قال عمر (رضي الله عنه) ولا يعرفه منا أحد. والحديث مشهور عن عمر رضي الله عنه.

(٤) مسند الإمام أحمد ص٦٤ حديث ٦٥٣ جـ٢ بإسناد صحيح.

(٥) المرجع السابق ص٢٤٧ حديث ٤٥٣٩ جـ٦ بإسناد صحيح.

ومن ذلك ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نصلى، إذ انصرف ونحن قيام، ثم أقبل ورأسه يقطر، فصلى لنا الصلاة، ثم قال: «**إنى ذَكرْتُ أنى كنت جُنبًا حين قمتُ إلى الصلاة، لم أغتسل، فمن وجد منكم فى بطنه رِزّا**[1] **أو كان على مثلِ ما كنتُ عليه فلينصرفْ حتى يفرغ من حاجته أو غُسله، ثم يعود إلى صلاته**»[2]. وما رواه أيضًا فقال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[3].

مما سبق يتضح لنا أن عوامل ثلاثة تضامنت وتضافرت فى سبيل حفظ السنة المشرفة فى عهد الرسول ﷺ، وهذه العوامل هى: شخصية الرسول من حيث هو مرب ومعلم، وفوق هذا، وأكثر من هذا من حيث هو رسول رب العالمين، والسنة من حيث مادتها، والصحابة وهم الطلاب الذين تلقوا السنة وشاركوا فى تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة، وإرادة قوية فى اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال. كل ذلك كان له الأثر الكبير فى حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم طبقًا لما قاله ﷺ لأصحابه: «**تَسمعون ويُسمعُ منكم ويُسمعُ ممن يَسمع منكم**»[4].

ويمكننا أن نقول ـ ونحن واثقون مطمئنون ـ: إن السنة فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت محفوظة عند الصحابة جنبًا إلى جنب مع القرآن الكريم، وإن كان نصيب كل صحابى منها يختلف عن نصيب الآخر، فمنهم المكثر من حفظها، ومنهم المقل، ومنهم المتوسط فى ذلك. ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين.

ويخطئ من يدعى أن بعض السنن فات الصحابة جميعًا بعد أن رأينا مدى عنايتهم بها، وحرصهم عليها. فكيف يغيب عنهم شىء منها، وهم الذين صحبوا

---

(١) الرز: الصوت الخفى ويريد به القرقرة، وقيل هو غمز الحدث وحركته للخروج.

(٢) مسند الإمام أحمد ص٧٤ رقم ٦٦٨ جـ٢.

(٣) المرجع السابق ص٢٩ جـ٢ وإسناده صحيح.

(٤) مسند الإمام أحمد ص٣٤٠ حديث ٢٩٤٧ وانظر: الجرح والتعديل ص٨ جـ١.

رسول الله ﷺ نيفًا وعشرين عامًا قبل الهجرة وبعدها، فحفظوا عنه «أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده وعبادته، وسيرته وسراياه ومغازيه، ومزاحه وزجره، وخطبه وأكله وشربه، ومعاملته أهله، وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهوده ومواثيقه، وألحاظه وأنفاسه وصفاته، هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام أو تحاكموا فيه إليه»[1] فكانوا بحق خير خلف لخير سلف رضى الله عنهم.

٤ـ انتشار السنة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سراً فى دار الأرقم بن عبد مناف، يتلقون تعاليم الدين الجديد يقرؤون القرآن، ويقيمون شعائرهم، وما لبث النبى عليه الصلاة والسلام أن صدع بأمر الله تعالى، وكثر المسلمون، وعم الإسلام الجزيرة العربية، وكان الرسول ﷺ فى جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس، ويفتيهم ويقضى بينهم، ويخطبهم ويسوسهم فى السلم والحرب، وفى الشدة والرخاء، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبقونها. وقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة فى الآفاق، منها:

١ـ نشاط رسول الله عليه الصلاة والسلام، وجده فى تبليغ دعوته ونشر الإسلام، فلم يترك وسيلة للدعوة إلا استفاد منها، ولا سبيلاً إلا سلكها، فعرض نفسه على القبائل، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام... فلم يأل جهدًا فى تبليغ الرسالة.. حتى عز الإسلام وقويت دولته.. وفى جميع تلك التطورات كانت السنة تأخذ مكانها فى نفوس المسلمين.

٢ـ طبيعة الإسلام ونظامه الجديد، الذى جعل الناس يتساءلون عن أحكامه، وعن رسوله وأهدافه، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله عليه الصلاة والسلام، يسأله عن الإسلام فيعلن إسلامه، وينطلق إلى قومه ليبلغهم ما رأى ويخبرهم ما سمع...

---

(١) المدخل إلى كتاب الإكليل فى أصول الحديث ص٧، ٨.

٣ـ نشاط أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، واندفاعهم فى طلب العلم وحفظه وتبليغه، وقد سبق أن تكلمت مفصلاً عن نشاطهم العلمى فى بحث «كيف كان الصحابة يتلقون السنة؟».

٤ـ أمهات المؤمنين رضى الله عنهن: كان لأمهات المؤمنين فضل عظيم فى تبليغ الدين، ونشر السنة بين نساء المسلمين، فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أمورهن فيجدن عند أزواجه ما يشفى غليلهن، لأنهن على صلة دائمة به، يتعلمن منه الأحكام، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها بعلمها الغزير، وحرصها على فهم الأحكام، فعن ابن أبى مليكة «أن عائشة زوج النبى ﷺ. كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبى ﷺ قال: «**مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ**»، قالت عائشة: فقلت: أوَ ليس يقولُ الله تعالى: «... **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا**»؟ قالت: فقال: **إنما ذلكَ العرضُ ولكن مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهْلَك**»[1].

وقد عرف المسلمون سمو مكانتها، وتعمقها فى أحكام الإسلام، فكانت ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ محط أنظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم فى كثير من أمور دينهم.

٥ـ الصحابيات: كان للنساء أثر عظيم فى حفظ السنة وتبليغها لا يقل عن أثر الصحابة رضى الله عنهم، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله ﷺ، طلبن منه أن يعين لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام... كما أنهن كن يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد ويستمعن إلى أحاديث رسول الله ﷺ، وقد كان لهؤلاء الصحابيات أثر عظيم فى حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية، كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله ﷺ.

---

(١) فتح البارى ص٢٠٧ جـ١.

٦ ـ رسله ﷺ وبعوثه وولاته: أصبحت المدينة بعد الهجرة مقر الدولة الإسلامية، وقاعدة الدعوة: تنبعث منها الهداية إلى الآفاق، وتتحطم على إثرها أصنام الشرك، وتتقوض أمامها عروش الطغيان، فمن يثرب انطلق رسل النبى ﷺ إلى القبائل المجاورة والنائية، يدعونهم إلى الإسلام، ويعلمونهم أحكامه ونظمه، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام، وكان رسول الله ﷺ يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم أصول الدعوة ويأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن ذلك وصيته لمعاذ ابن جبل ولأبى موسى الأشعرى عندما وجههما إلى اليمن[١]: قال عليه الصلاة والسلام: «**يَسِّرا ولا تعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا**»، وقال لمعاذ رضى الله عنه: «**إنك ستأتى قومًا من أهل الكتاب، فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ فى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِّ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٢]: وكان يشجع عماله وقضاته، قال على رضى الله عنه: «بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثنى إلى قوم هم أسنُّ منى لأقضى بينهم، قال: **اذهب، فإنَّ الله تعالى سيثبِّتُ لسانك ويهدى قلبك**»[٣].

وقد كانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وولاته خير من يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة.

وفى السنة السادسة كثرت بعوثه ﷺ، فقد وجه بعد صلح الحديبية رسله إلى الملوك، يحملون إليهم كتبه، ففى يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم[٤]، فقد اشتهر أنه أرسل

---

(١) انظر: صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٧٢ جـ٣ وكان ذلك فى السنة التاسعة للهجرة.

(٢) صحيح مسلم ص٥٠ حديث ٢٩، ٣٠ جـ١.

(٣) مسند الإمام أحمد ص٧٣ حديث ٦٦٦ جـ٢ بإسناد صحيح.

(٤) انظر: المصباح المضىء ص٤٠.

رسله إلى قيصر الروم[1]، وإلى أمير بصرى، وإلى الحارث بن أبى شمر أمير دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل يدعوهم إلى الإسلام، كما وجه كتبه إلى النجاشى ملك الحبشة، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها... وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، ويبينون لهم الإسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم به الرسول عليه الصلاة والسلام من التوجيه والإرشاد، وكان عليه الصلاة والسلام يولى على كل قوم قبلوا الإسلام كبيرهم، ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم.

٧ ـ غزوة الفتح (الفتح الأعظم): فى سنة ثمان من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية، فدعا رسول الله القبائل المسلمة أن تحضر رمضان فى المدينة، وانطلق بعشرة آلاف[2] مجاهد إلى مكة، ففتحها وقوض الوثنية وحطم الأصنام، ثم قام خطيبًا فى ألوف المسلمين والمشركين فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه. ثم أعلن كثيرًا من الأحكام، منها ألا يقتل مسلم بكافر، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها... ثم أقبل الناس يبايعون رسول الله عليه الصلاة والسلام...

لقد كان فتح مكة حدثًا تاريخيًا عظيمًا، نقله جموع غفيرة، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الآفاق، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوا من إرشاد وتوجيه إلى أهلهم وذويهم فى مكة وغيرها.

٨ـ حجة الوداع: خرج رسول الله ﷺ فى شهر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة، إلى مكة المكرمة وحج بالناس، وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين[3]

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ص٢٧٩ جـ٤ وصحيح مسلم ص ١٣٩٣ و١٣٩٧ جـ٣ وانظر: أخبار الرسل إلى الملوك والأمراء مفصلة فى المصباح المضىء ص٦٠ـ ١١٤.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ص١٧ جـ٤.

(٣) اختلف فى عدد من حضر حجة الوداع وفى رواية عن أبى زرعة أنهم أربعون ألفًا انظر: تلقيح فهوم أهل الآثار ص٢٧: ب.

ألفًا، ووقف فى عرفة فى هذه الجموع الكثيرة وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيرًا من الأحكام، منها حركة دماء المسلمين وأموالهم، وأداء الأمانة، ووضع ربا الجاهلية وإبطاله، كما وضع دماء الجاهلية التى كانت بينهم ومنع العادات الباطلة... ومنع النسيء تأكيدًا لما فى كتاب الله، وبين بعض حقوق الرجال وحقوق النساء وحث على حسن معاملتهن... ومنع الوصية للوارث...

لقد كانت هذه الخطبة الجامعة من أهم العوامل فى انتشار السنة بين القبائل العربية، لأنه سمعها عدد كبير جداً، ونقلوها إلى الآفاق، طبقًا لما جاء فيها من قوله ﷺ: «**ألا هَلْ بلَّغْتُ؟ اللهمَّ اشهدْ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب**»(١).

٩ـ الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع: بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة العربية يبايعون الرسول ﷺ وينضمون تحت لواء الإسلام، وتتابعت هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع، وكان رسول الله ﷺ يرحب بالوافدين، ويعلمهم الإسلام، ويزودهم بنصائحه وإرشاداته، وكانت بعض الوفود تقيم عنده أيامًا ثم تعود إلى قبائلها تبلغهم الدين الحنيف، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة الذى علمه الرسول ﷺ الإسلام، فعاد إلى قومه ودعاهم فأسلموا، ووفد عبد القيس، ووفود بنى حنيفة وطيء وكندة وأزدشنوءة، ووفد رسول ملوك حمير، الذين أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى الرسول ﷺ، فبعث إليهم عليه الصلاة والسلام كتابًا يخبرهم أنه علم بإسلامهم، ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه، وفيه وصيته لهم برسله وببعوثه، ويوصيهم الخير فى الرعية... كما قدمت وفود همدان، وتجيب ـ قبيلة من كندة ـ ووفود ثعلبة وبنى سعد من هذيم ووفود كثيرة يضيق المقام عن ذكرها(٢).

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ص٢٧٦ جـ٤، ونحوه فى صحيح مسلم ص٦٠١٣ جـ٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ص٢٢١ جـ٤.

لقد كان رسول الله ﷺ يرى فى هذه الوفود الخير، فيكرمهم ويعلمهم، وكانوا يسألونه ويجيبهم، وقد سمعوا حديثه، وشهدوا بعض مواقفه، وشاركوه فى العبادة، ورأوا كثيراً من تصرفاته. فكان لهذه الوفود أثر عظيم فى نقل السنة وانتشارها.

ونرى أن تلك العوامل الكثيرة كانت كافية لنشر السنة وتبليغها المسلمين، فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك.

تلك لمحة سريعة عن انتشار السنة فى عهده ﷺ، وقد حرص الصحابة والمسلمون جميعًا على حفظها وتبليغها، ولم ينتقل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن انتشر الإسلام فى الجزيرة العربية كلها وساد ربوعها، وملأ القرآن والسنة صدور أهلها، مصداقًا لقوله عز وجل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

***